

ألف حكاية وحكاية (١٢٠)

# ضحكة فرعونية

وحكايات أخرى

بقلم

يعقوب الشاروني



رسوم

نسيم

الناشر

مكتبة مصر

مكتبة مصر العامة  
شارع كامل صديق - الفجالة  
٥٩٠٨٩٢٠٥

## ما بعد الأيام

في خاتمة كتاب "ما بعد الأيام" ، الذي كتبه الدكتور "محمد حسن الزيات" وزير خارجية مصر الأسبق ، عن والد زوجته الدكتور طه حسين ، عميد الأدب العربي ، يقول :

رأيت رجلاً من بين جماهير الشعب الذين وقفوا يُشيعون العميد ، بعد رحيله في الثامن والعشرين من أكتوبر عام ١٩٧٣ ، وقف يبكي مع ابنه ويقول له :

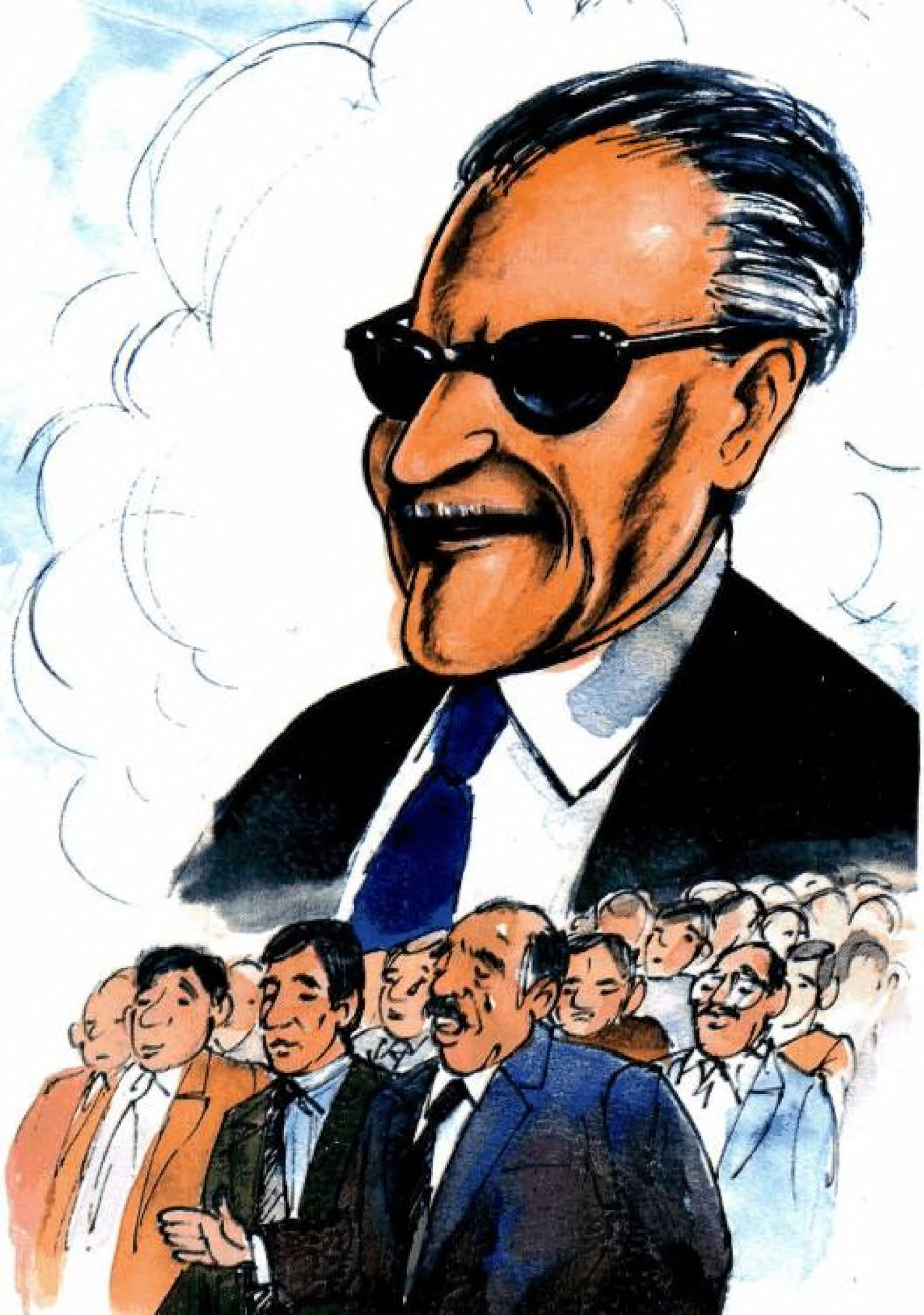
"أنت يا بُنى تبكي طه حسين لأنك تعلمت منه ، وقرأت له ، وسمعت أحاديثه في الإذاعة .

وأنا يا بُنى لم أتعلم من طه حسين ، ولم أقرأ كتبه ، ولم أسمعهُ يتحدث في الإذاعة إلا نادراً ومصادفةً .

ولكني أبكيه يا بني ، لأنه هو الذي مكّنني ، منذ ثلاثة وعشرين عاماً ، من تعلّمي . وها أنت قد حققت لنفسك ولأسرتك من الثقافة والكرامة والخير ما حققت .

أبكيه يا بني ، لأن الله تعالى أكرمهُ بالعلم ، فلم ينس الجاهلين . وأغناه ، فلم ينس المحتاجين . وأسعده ، فلم ينس من في الأرض من المعدّيين ."







## الدكتورة سهير القلماوى و " الشرشرة "

فى الكتاب التذكارى الذى أصدرته لجنة ثقافة الطفل  
بالمجلس الأعلى للثقافة ، حول أستاذتنا الدكتورة سهير القلماوى ،  
يقول الأستاذ الدكتور أحمد مرسى ، أستاذ الأدب الشعبى بكلية  
الآداب جامعة القاهرة :  
يُمكن أن أحكى الكثير عما تعلّمته من أستاذتى و أمى سهير



القلمماوى ، لكننى ساكتفى بحكاية واحدة ، تمثّل شخصيتها  
وخصالها .

ففى بداية حياتى الجامعية ، عندما عُيِّنْتُ مُعيداً فى قسم اللغة  
العربية ، و كانت أستاذتى الجليلة رئيساً للقسم ، طلبتُ منى ذات يوم  
أن أكتب شيئاً فى أمر يخص القسم ، لكى تحمله معها إلى مجلس  
الكلية ، وأن أفعل ذلك بسرعة .

كان معى " كشكول " من النوع الذى يجمعُ السلكُ أوراقه ،  
فانتزعتُ ورقةً منه ، و كتبتُ ما أَرادته ، و ذهبتُ لأقدمه لها . و كانت  
المفاجأة أنها لم تقرأ ما كتبتُ ، وإنما أخذتِ الورقة ، و نظرتُ إلى  
و هى تكورها بيديها ، و قالتُ بالحرف الواحد :

" يا بنى ، ما فىش واحد محترم يكتب على ورق مشرشر ..  
هتكتب على ورق مشرشر ، ها تبقى هدومك مشرشرة ، و شغلك  
مشرشر ، و ها تبقى إنت نفسك بنى آدم مشرشر ، و أنا ما احبش حد  
من ولادى يبقى مشرشر . روح شوف ورقة عدلة ، و اكتب اللى طلبته  
منك . "

و لم تكن سهر القلمماوى طوال حياتها " إنسان مشرشر " ، و لم  
تسمح لأى من أبنائها و تلاميذها أن يكونوا " مشرشرين " !!



## خافوا من تنويرك للعقول!!

في رواية الأديب "حسن محاسب" عن "رفاعة الطهطاوى"،  
والتي يقدم فيها ملحمة رائعة عن الحب لمصر والتضحية للوطن،





يحكى الكاتب الروائي الموهوب هذه الحكاية ، يقول :

"عندما تُوفّيَ محمد علي في الثاني من أغسطس سنة ١٨٤٩ ،

جاء بعده الخديو عباس .

أمر الخديو عباس : "تتمُ تصفية المدارس ، وتُحرقُ أو تُغلقُ  
مدرسةُ الألسن!!"

وثار الطهطاوى ، وهرول إلى القلعة ، وقال لعباس : "هذا قرارٌ  
يُعيدُ البلادَ إلى عصرِ الجمود والتخلف والظلام."

فغضبَ منه عباس ، وأمرَ بنفيه إلى السودان وهو يقولُ له  
ساخراً : "شيخ رفاعة تُريدُ تعليم.. اذهب إلى طوكر بالسودان ،  
عيّنتُكَ ناظرَ مدرسة ابتدائية هناك .. علّم الناس خرافاتٍ وهلوساتٍ  
عن حرية .. وثقافاتٍ .. وحضاراتٍ .. ولن تعودَ من هناك ما دُمْتُ أنا  
أحكمُ ..."

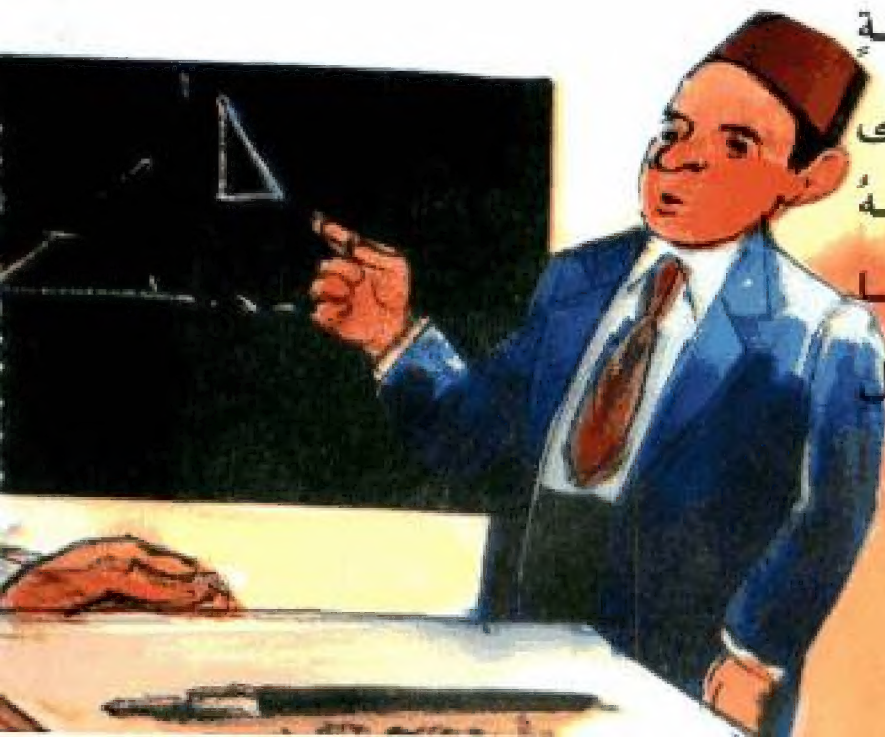
وكان لرفاعة زميلٌ بالأزهر ، قالَ له : "هذه وشايةٌ من الأمراءِ  
والأعيانِ ، لأنهم خافوا من تنويركَ لعقول الناس ، وتعليمِ عامّةِ  
المصريين .. وغضبوا من إلغائك اللغة التركية ، ودعوتِكَ إلى الدستور  
الحرية ، وهم يُريدون أمةً من العبيد.." وسافر الطهطاوى إلى  
السودان ، لكن مع تولّي سعيد عرش مصر سنة ١٨٥٤ ، عادَ إلى مصر ،  
ليُكملَ مسيرة التعليم والتنوير.

## على باشا مبارك .. أبو التعليم

عندما كان أستاذ الجيل " أحمد لطفى السيد " تلميذاً في مدرسة الخديوية سنة ١٨٨٩ ، وهى السنة التى حصل فيها على شهادة " البكالوريا " ، التى تُشبه الثانوية العامة العالية ، كانت المدرسة تعقدُ اختباراً كل شهرٍ لتلاميذها .

ويقول أستاذ الجيل : " رغبَ تلامذة البكالوريا أن تُعفيهم المدرسة من الاختبارات الشهرية ، حتى يُوجِّهوا كلَّ جهودهم فى المذاكرة لامتحان العام . وأجمع رأيهم على أن يطلبوا إلى وزير المعارف على باشا مبارك ، إعفاءهم منها . واختارونى للذهاب لمقابلته ، فذهبتُ إليه .

وكان من عادته أن يضع سبورة فى مكتبه ، لاختبار كل من يتقدمُ إليه من الطلبة فى حاجة يُريدها ، ولا يُجيبه إلى حاجته ، إلا إذا أجابه إجابةً صحيحةً فيما يختبره من المسائل الرياضية أو العلمية .





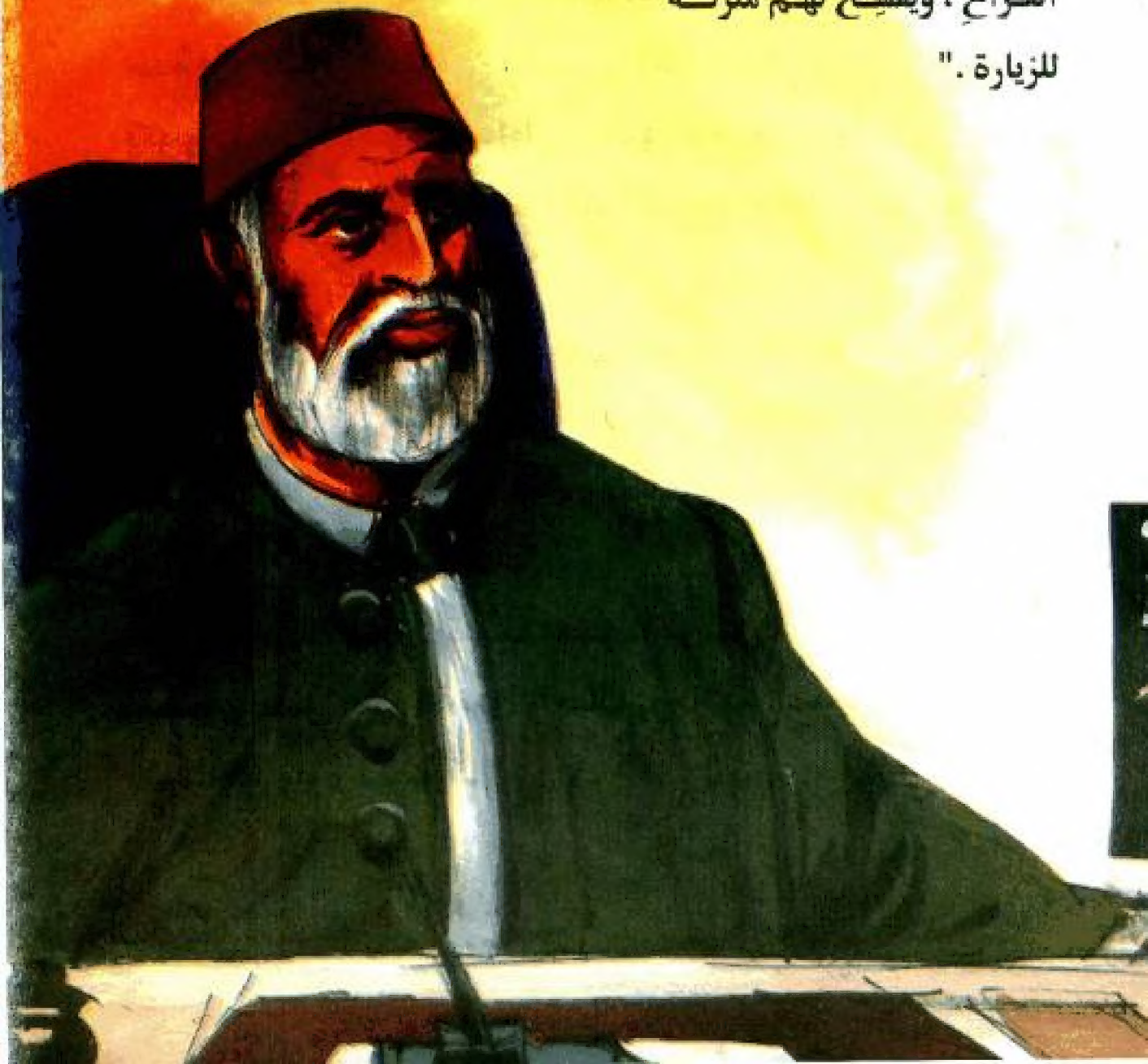
فلما وقفتُ بين يديه ، طلبَ مني أن أقفَ أمامَ السبورة ،  
لأبرهنَ على النظرية الهندسية التي حاصلها " إن مُربَّعَ وترِ المثلثِ  
القائمِ الزاوية ، يساوي مجموعَ مربعي الضلعين الآخرين . " فأثبتها  
أمامه ، فوافقَ على الرغبة التي أوفدني زملائي من أجلها .

وقد كانَ رحمه الله أبًا للتلاميذ مُحبًا لهم ، عطوفًا عليهم ،

وكثيرًا ما يختلطُ بهم في وقتِ

الفراغِ ، ويُفسيحُ لهم منزلة

للزيارة . "





## الجنود يحملون أولاد الأسرى !!

في الحديث الممتع المهم مع عالمة الآثار الفرنسية "نوبلكور" ،  
الذي نشرته مجلة " المصور " في أحد أعدادها ، تؤكد عالمة الشهرة  
حقيقة مهمة ، لم يتنبه إليها الكثيرون ، وهي أنه في مصر الفرعونية ، لم  
يكن هناك عبيد ولا عبودية ، وهو ما يؤكد تقدمهم الحضاري  
والإنساني. فتقول :

" المصريون القدماء لم يكونوا قساة على الإطلاق . كان هناك  
خدم في المنازل ، يعيشون مع أسرة واحدة لأجيال عديدة ، لكنهم لم  
يكونوا عبيدا . أما في الإمبراطورية الرومانية ، فإن القانون الروماني  
كان يعتبر العبد " شيئا " ، وملكاً كاملاً لسيده ، يتحكم كما يشاء في  
حياته أو موته ، كأنه بقرة أو ثور . "

" وكان هناك أسرى حرب في مصر القديمة ، ويمكن أن نعتبر  
هؤلاء عبيداً ، لكن حتى هؤلاء لم تكن معاملتهم سيئة . بل إن  
المصريين كانوا يسمحون للأسرى بإحضار زوجاتهم وأبنائهم ، ولم تكن  
هناك دول أخرى تفعل ذلك . "

" وهناك كتابات قديمة لجنود مصريين ، يشكون من أنهم  
يضطرون لحمل أولاد الأسرى وأحياناً زوجاتهم ، عندما كانوا يعبرون  
بهم مناطق وعرة .. تصور !! "



ثم تقول: "إن الأمريكيين لم يعاملوا السود الذين جلبوهم  
من إفريقيا كعبيد هذه المعاملة الإنسانية، بل كان الزوج يُباع بعيداً  
عن زوجته وأولاده، والزوجة والأولاد يُباعون بغير شفقة، كل واحد  
منهم لسيد مختلف!! "





## لن أقبل يده

كتب الكاتب الساخر "يعقوب صنوع" (١٨٣٩ - ١٩١٢) يحكى  
عن نفسه ، قال :

كنتُ في طفولتي شديد الاعتداد بنفسى . وفي الثالثة عشرة  
من عمرى ، كتبتُ قصيدة مدحتُ بها ناظر مدرستى . وعندما قرأها  
والدى ، اقترح على أن أكتب قصيدة أمدح بها الأمير "أحمد" ،  
حفيد "محمد علي باشا" حاكم مصر . فكتبتُ قصيدة طويلة قدمتها





والدى ، اقترح على أن أكتب قصيدة أمدحُ بها الأمير "أحمد" ،  
حفيد "محمد على باشا" حاكم مصر. فكتبْتُ قصيدةً طويلةً ، قدَّمها  
والدى للأمير ، الذى لم يصدِّقْ أن صبيًّا فى الثالثة عشرة يستطيعُ أن  
يكتبَ هذه الأشعار. وطلبَ الأميرُ أن يرى هذا الطفلَ المعجزة ،  
فذهبتُ لأقابلهُ.

وعندما دخلتُ قاعةَ الاستقبال ، كانتُ ملآنةً بالزائرين.  
وقدَّمنى والدى إلى الأمير وهو يقول: "هذا هو الشاعر الصغير".  
ثم همسَ لى قائلاً: "قبل يد الأمير".  
أما أنا فحييتُ الأميرَ وأنا أقولُ: "السلامُ عليكم ورحمةُ الله".  
وأمسكنى أبى بعنفٍ ، وهو يقولُ بصوتٍ منخفضٍ: "لماذا لم  
تقبل يدَه؟"

فأجبتُهُ: "لا .. لن أقبلها!!"

وهددنى والدى ، لكننى أصرت على الرفض.  
وشعرَ الأميرُ بما يحدثُ بينى وبين أبى ، فحاول أن يستوضحَ  
الأمرَ ، فسبقتُ أبى بالكلام وأنا أقولُ:  
"لا أدري لماذا يُريدُ والدى منى أن أقبل يدكم !! إننى  
إنسانٌ مثلكم ، بل إننى أجيدُ كتابةَ الشعر!!"

ونزلتُ هذه الكلماتُ على أبى كالصاعقة ، لكنَّ الأميرَ لم  
يغضبِ من ثقتى الكبيرة بنفسى ، بل أمرَ أن أكملَ تعليمى فى أوروبا ،  
على نفقته!!



## طريقتهم فى ذلك الحين

يتحدثُ أستاذُ الجيلِ أحمد لطفى السيد ، فى كتابه "قصة حياتى". عن بشاعةِ أساليبِ الحكمِ فى نهاية القرن التاسع عشر ، أى سنة ١٨٨٢ تقريبًا ، وكان عمره عشر سنواتٍ ، فيقولُ :  
"أذكرُ أن الضربَ فى ذلك الزمانِ كانَ مباحًا ، حتى ضُربَ العمدة والأعيان ، وكانَ هذا بعضَ ما يحدثُ فى القرى المصرية من القسوة والاستبداد.







وقد رأيتُ ذلك بنفسى أكثر من مرة ، إذ كان لوالدى صديقُ  
يشغلُ وظيفة "مفتش تفتيش" ، فكُنْتُ وأنا بمدرسة المنصورة ، أذهبُ  
إلى بيته يوم الجمعة ، فأرى حوش التفتيش مرشوشاً ، والبيك  
المفتش قاعداً فى صدره ، وقد وقف اثنان من "القواسة" (مثل  
الخفراء) يحملان الكرباج و "الفَلَقَة" (وهى أداة للضرب على باطن  
القدم) لضرب العمدة الذين يتأخروا أهل قريتهم فى دفع الإيجار.  
ثم يضيفُ أستاذ الجيل قائلاً: "وكأنتُ هذه هى طريقتهم فى  
ذلك الحين .. فانظر كيف كانت الحال بالأمس ، وكيف هى اليوم."



## ضحكة فرعونية !

قد تكون هذه هي أقدم النواذر التي سجلها الإنسان ، فقد وجدناها مكتوبةً على قطعةٍ من ورق البردى ، يرجعُ عهدُها إلى حوالي سنة ٢٤٠٠ قبل الميلاد.

وتقولُ الحكايةُ ، إن أحدَ الكتبةِ كان يقومُ بتسجيلِ العقودِ في غرفتهِ قربَ مدخلِ معبدِ آمون ، فأزعجتهُ الضوضاءُ المنبعثةُ من الغرفتينِ عن يسارِ ويمينِ غرفتهِ ، وكانَ يعملُ في أحدهما نجارٌ ، ويعملُ في الأخرى بئاءٌ.

وأحسنُ الكاتبُ أنه سيُجنُّ من الضوضاءِ ، فذهبَ إلى النجارِ ، وقَدَّمَ إليه مبلغًا كبيرًا من المالِ ، لكي يتركَ غرفتهُ إلى غرفةٍ أخرى. ثم فعلَ نفسَ الشيءِ مع البئاءِ. وأخذَ الرجلانِ المالَ ، بعد أن وافقاه على طلبيه.

وفي اليومِ التالي ، اكتشفَ الكاتبُ أن البئاءَ انتقلَ إلى غرفةِ النجارِ ، وأن النجارَ انتقلَ إلى غرفةِ البئاءِ !!

